... والقبلية النقدية أيضا !

بقلم عبد المحي رباب

« وهذه الثورة العربية تحتاج الى ان تسلح نفسها بالوعي القائم على الاقتناع العلمي النابع من الفكر المستنير ، والناتج من المناقشة الحرة التي تتمرد على سياط التعصب او الارهاب » .
الميثاق الوطني ـ الباب الثاني

انتهينا من الحديث عن القسم الاول من آثار القبلية النقدية التي كانت سببا في اهدار مبدأين انسانيين يتمثلان في تكافؤ الفرص والبقاء للاصلح ، ونتحدث الان عن القسم الثاني من النقاد والادباء الذين ارتفعوا بدون حجاج مشروعة ، ولا اسانيد علمية ترشحهم لهذه القيمة الادبية التي يتلفعون بها ، ومع ذلك يقودون الميادين الفكرية والادبية ..

وحينما نتحدث عن القسم الثاني تهولنا حقائق كان الكثير منا يمر عليها ولا يحس بها ، او يحس بها ولكنه لا يستطيع التحدث بها خوفا من باعثي هذه الحقائق ومبدعيها ، اما اليوم وقد غدت الجمهورية العربية المتحدة اشتراكية ، والاشتراكية في تصورنا هي سلوك واخلاق وفكر ، فلا مناص اذن من القيام بواجب ازاء بناء الدولة فكريا وادبيا . وذلك لكي يتسنى للدولة وللمواطنين فيها ان يتحقق بينهم مبدأ تكافؤ الفرص والبقاء للاصلح ، وهما المبدآن اللذان لم يتحققا في العهد الماضي بدعوى القبلية النقدية ، ولا يجوز اذن ان تستمر القبلية النقدية ، وان تزهق روح هذين المبدأين، ونحن بكامل وعينا، نأكل كما يأكل الناس ونمشي في الاسواق ، ثم ندع الخلق للخالق ، لانه اقام العباد فيما اراد ...

ومن ثم احسسنا ازاء هذا الوضع الشائن بثقل المسؤولية الملقاة على عاتقنا ، والتي تكاد تهد كياننا .. ولذا فانه لا مناص من المواجهة الصريحة للحقيقة المرة ، مع ان مواجهة الحقيقة من اصعب المصاعب ، لاننا بالرغم من معرفتها لا نحب ان نعرفها الا مضطرية ، حين نيأس من قدرتنا على جهلها ، ولانها تكلفنا تغيير عادة من العادات ، وليس اصعب على النفس من تغيير ما اعتادت . ولكننا بحمد الله نواجهها الان ونمضي في مواجهتها غير هيابين ولا وجلين ، لان هدفنا اسعاد الوطن والمواطنين ، وتحقيق رسالة الانسانية السامية التي تتمثل في الحق والخير والجمال ، مراعية في ذلك كله الله .. والوطن ..

ومن عجب ان تكون الحقائق المهولة في هذا القسم متمثلة في سيطرة اسرات على القيادة الفكرية والادبية ، سنتحدث عن اسرة من الاسر في هذا اليوم وناقد ذائع الصيت ..

اما الاسرة فانها مكونة من الدكتورة سهير القلماوي وزوجها الدكتور يحيى الخشاب ، واما الناقد فهو الدكتور رشاد رشدي . واحب ان اكرر ما اكدناه سابقا من اننا لن تأخذنا في سبيل تقرير الحقائق لومة لائم ، لانه قد آن للمواطنين ان يرفعوا عن اعينهم الغطاء السميك الذي كان يحول دون رؤيتهم للاشياء التي يصنعها هؤلاء وهؤلاء ..

« سهير القلماوي »

وسنبدأ بالحديث عن الدكتورة سهير القلماوي باعتبارها صاحبة الرئاسات لنرى ماذا قدمته من الفكر والادب للوطن المفدى حتى تستطيع ان تتربع على عرش هاتيك الرئاسات .

وفي اعتقادنا ان اصوب معالجة لفكرها ونقدها تكمن في معالجة عملها الاول الذي ابدعته بيراعها ، والذي اعتمدت عليه في دخول « مدرجات » الكلية لتحاضر لابنائنا بناة المستقبل البسام .. لتحاضر بجوار المرحوم عبد الوهاب عزام ، وبجوار استاذها طه حسين وغيرهما من الاعلام الكبار .. وهو البحث الذي حصلت بناء عليه على درجة الماجستير وهو « ادب الخوارج » ..

وفي تصورنا انه لا يوجد بحث يضارع « ادب الخوارج » في التفاهة والسطحية التي اشتمل عليها هذا البحث ، ولكننا مع ذلك سنمضي معه من اوله الى اخره ، لنرى كيف تفهم الباحثة القضايا العلمية ؟ وكيف تتناولها ؟ وهل هي مؤهلة لذلك ام لا ؟.. وذلك كله لنعرف اخيرا معدن عقلها .. هل هو على اصالة ، وهل هي صاحبة عبقرية حتى تلقى بنفسها في مضمار العلم هكذا دون مقدمات ... ام اراد لها استاذها ان تكون عالمة فكانت ، وان تكون استاذة فكانت ..

وارجو الا يظن ظان انني اتحامل على باحثتنا المفضالة ، لان بحثها كفيل بان يثير الحليم ثورة جائحة .. ذلك البحث الذي تتخذ فيه صاحبته « الطرماح » ممثلا لادب الخوارج او لعامة ادبائهم ، مع ما في هذا التمثيل من الخطأ المنهجي في التفكير الذي لا يقوى عليه الا الباحثة الفاضلة ، ولا يتجاهله الا « متجنون ازاء طالبة البحث يومذاك » .

اما كونه خطأ في التفكير فلانه لا يجوز ان نحكم على شخصية ادب الخوارج من خلال الطرماح او غيره ، والا كانت شخصية ذلك الادب ناقصة مبتورة .. على ان المؤلفة لم تتعرض للحديث عن مذهب الخوارج من الناحية الفقهية وعلاقته بالناحية الصوفية الروحية التي تتمثل في ادبهم .. لان المبادىء العامة المشهورة عن الخوارج لا يكفي الحديث عنها عن الحديث عن تلك ...

اما ما يقال عن ان ادبهم لا يصور تفاصيل مذهبهم من الناحية الفقهية والصوفية قدر ما يصور ايمان اصحاب المذهب واحوالهم في هذا الايمان فانه لاسند له من المنهج ، حيث انها تمت بصلة وثيقة بادبهم.

ولا ادل على ذلك من اننا حينما ندرس شاعرا كالعقاد مثلا فلا بد لنا من الحديث عن تفكيره وثقافته واللون الغالب على قراءته ومعتقداته وفلسفته في الحياة ، لنرى مدى تعبيره عن تجربته . ومن ثم فانه لا مناص من دراسة المذهب الخارجي من الناحية الفقهية والصوفية لنرى مدى تعبير هؤلاء عن فكرتهم ...

اما الجزء الخاص بتاريخ الخوارج فقد اقتصرت فيه المؤلفة بالحديث على نشأتهم ، ولم تتعرض لتاريخهم بعد تكوينهم كحزب ، الا لذكر اثر التحكيم « والنهروان » في هذا التكوين ، والا للمحات عامة عن تاريخهم بعد « النهروان » ، مدعية ان الخوارج من الاحزاب السياسية التي لم تتغير شخصيتها المعنوية طوال العصر الاموي ، ومن هنا رأت ان من تكرار ما هو معروف ان تلخص حروبهم ما دامت كلها تكاد تكون متشابهة من حيث الغاية والحوادث والنتيجة ، وما دامت لم تؤثر في ادبهم الا من حيث صفاتها العامة ..

ولقد عنيت المؤلفة بحديث الرسول الذي قاله لصحابي اعترض على ايثار الرسول لنفر من المسلمين قريبي العهد بالدخول في الاسلام تألفا لقلوبهم ، فقال له الرجل : اعدل يا رسول الله ، فقال الرسول : ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل .. ثم قال صلى الله عليه وسلم « انه يخرج من ضئضئي هذا قوم يكون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون

من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

لقد وقفت عند هذا الحديث لتبين فيه دلالة على الروح الخارجية ، لانه يرى العدل عدلا مطلقا ، ولا يعترف بسلطان الظروف واثرها في الاحكام العامة ، وربما يكون ، وقوفها عند هذا الحديث هو الجديد في القسم التاريخي فقط ، وخاصة فيما يختص بنشأتهم ، وتمضي بعد ذلك لتقول لنا ما قاله المؤرخون عن واقعة صفين « والتحكيم ونتيجته دون تدخل منها في ابراء له قيمة ، اللهم الا حينما خالفت المستشرق ولهوزن w elhausen في ص ٢٧ بان عمرا خدع ابا موسى الاشعري فجعله يضع عليا ومعاوية على قدم المساواة ، فلم يبق في ذهن انصار علي الا خديعة عمرو فصوروها بعد هكذا دفاعا عن علي. لقد خالفت ولهوزن فيما ارتاه في هذا الصدد في كتابه the Arab kingdam and its fall مدعية ان أبا موسى لم يخدع وانما كان مؤمنا بان عثمان قتل مظلوما ، وان الطالب بدمه مطلب عدل واجب في عنقه ...

غير ان مخالفتها هذه كانت بلسان الطبري في كتابه تاريخ الامم والملوك في الجزء الخامس ص ١٨٤ ..

وكذلك مناقشتها للاب لامانس في كتابه عن معاوية LA Régne du caliphe Omayade moawia 1er

اذ ذهب في هذا الكتاب الى ان عمرا وابا موسى قد اتفقا على خلع الاثنين .. ناقشت المؤلفة هذا القول مدعية انه لا يستند الى رواية تاريخية ، كما يجب ان يستند كل رأي تاريخي ..

وما بعد ذلك فان ما يقرب من أربعين صفحة أو تزيد مليئة بالقصص والاحداث التاريخية التي يمكن لطلاب المراحل الاعدادية أن يأتوا بمثلها .. وليس للمؤلفة فيها من ابداع سوى صياغتها فقط ..

وهكذا تمضي بنا حتى نقف وجها لوجه امام حديثها عن شخصية الخوارج الادبية مباشرة ودون مقدمات سابقة .. دون ان تحدثنا عن الخوارج منفردين عن الامة العربية ، وراحت تصفهم بضيق التفكير، وقامت بالتعليق على بعض الشعراء الخارجيين دون دراسة لمقومات شعرهم ، فعلقت على بيتين لمرداس وبيتين اخرين لعبيدة بن هلال وعيسى بن فاتك ..

وتحدثت عن أثر المرأة في حياة الخوارج العملية، فاذا بنا امام موضوع انشاء لا امام دراسة موضوعية ..

ولقد أغفلت جانبا هاما في دراسة الخوارج وهو نظرة الفرق الاخرى لهم ، واحراق أدبهم وطمس معالمه ، وكان من الممكن أن تتناول هذا الموضوع في الاداب الاخرى ، وتقوم بدراسة مقارنة لتلك الظاهرة وعلاقتها بالاقطاع الفكري ، لكنها مرت عليها مرور الكرام في صفحة ٥٠، وكأن الامر لا يعنيها في موضوعها ، وكان لا بد أن تعلل لماذا بقي ديوان الطرماح بالذات ، وراحت بعد ذلك تتحدث عن بعض أعلام الخوارج كما وعدت في أول هذا الفصل بأنها ستحاول « قبل البدء في درس أعلام الادب الخارجي واثارهم أن نبين أهم المؤثرات التي أثرت في أدب الخوارج وكونت شخصيتهم الادبية » .

على ان حديثها عن اعلام الادب الخارجي لم يتعد ذكر بعض الشعراء باسمائهم ، وايراد بعض الابيات لبعض الشعراء كزيد بن جندب الايادي التي قيلت في خلاف الازارقة بسبب قطري :

قل للمحلين قد قرت عيونكم ... بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناسا على دين ففرقنا ... قرع الكلام وخلط الجبر باللعب
ما كان اغنى رجالا ، ضل سعيهم ... عن الجدال واغناهم عن الخطب
اني لاهونكم في الارض مضطربا ... مالي سوى فرسي والرمح منه نشب

ووقفت ترثي دون ابداء لاسباب الرثاء على الشخصيات الادبية المبتورة . ومن الانصاف أن نقول انها قامت بدراسة قطري بن الفجاءة المازني فحدثتنا عنه كفارس من فرسان الخوارج وقائدا من أعظم قوادهم، ولكن دون ان تحدثنا عن بواعث القيادة والفروسية في نفسه ، او عن تعليل مقبول لهذه وتلك ، وانما ألقت علينا أخبارا كأخبار الصحف المحلية تفيد بأنه فارس وقائد .. ومضت تقول انه كان شاعرا وخطيبا شهرت بعض أبياته شهرة لم تظفر بها أبيات أي شاعر خارجي سواه، ولكن هذا لا يمنع أن تضيع آثاره كما ضاعت سائر اثار الخوارج ، فلم يبق منها الا بضعة أبيات مفرقة تروى بعضها على صور مختلفة ».

ثم تنتقل للحديث عن قطري خطيبا دون ان تقف على السبب الذي أدى الى ضياع شعره ، فربما كانت لديه بواعث تجعل الزمن يجود عليه بالبقاء لاثاره الادبية .. ولكنها مرت مرور الكرام كما عودتنا قبل ذلك في المواقف العلمية التي تحتاج الى تدقيق وتمحيص .. وانما راحت تعتمد في تصوير شخصية قطري على «البلاذري في كتابه فتوح البلدان» «لان كل ما يتعلق بحياة قطري قبل توليه أمر الخوارج غامض ومجهول ». وذلك على حد تعبيرها .

وفي حديثها عن قطري شاعرا قامت بعملية احصاء لثروته الشعرية التي عثرت عليها في حماسة أبي تمام ، وفي مروج الذهب ، وفي حماسة البحتري التي اشتملت على بيت واحد له ، وفي خزانة الادب ، وما رواه الطبري والمبرد وأبو الفرج له ، وكلها لا تتعدى اربعين بيتا ...

ومن خلال هذه الثروة الشعرية راحت ترسم شخصية قطري، لان هذه الثروة الشعرية التي عثرت عليها منوعة « تصور لنا جملة نواح من هذه الشخصية الشاعرة » .

وانتهت في دراسة قطري شاعرا من خلال ثروته الشعرية الى ان صورته التي رسمها شعره هي هي صورته التي رسمتها كتب التاريخ التي اعتمدت عليها المؤلفة في رسم شخصيته ، وأسرفت في الاعتماد عليها حتى خرجت عن موضوعها الذي عنونت له « بأدب الخوارج ».

كما انتهت في دراستها لهذا الشاعر بأن لا يمثل الا فئة من الخوارج الذين قضوا حياتهم الخارجية في ميدان القتال محاربين بالفعل في سبيل المذهب ، فلونت حياتهم القاسية شعرهم وأدبهم بلون حربي قوي .. تلك هي الفئة التي حطت مجد الخوارج وأثبتت وجودهم السياسي بشكل عنيف ، ولم تقدم شعرا وحكمة

في الاسواق :

الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثورة

تأليف

أنور قصيباتي

* ان حضارة جديدة تلوح في الآفاق البعيدة ، وان العرب هم الذين سيبدعون هذه الحضارة .

* ان الثورة هي الطريق الوحيد لاقامة هذه الحضارة، ولن تتحقق الا بالتدخل الارادي

الثمن ٢٠٠ ق.ل - ٢٥٠ ق.س

منشورات دار الاداب

وفقها فحسب ، وانما قدمت ايضا اثمن ما وهبت المذاهب واغلاه بل أثمن ما وهب الايمان في تاريخ البشرية وأغلاه وهو دماء المؤمنين وأرواحهم ، بل حياتهم كلها » .

فهي هنا تحدثنا عن الحكمة والفقه التي لم تقدم لنا منها شيئا، بل انها لم تقدم لنا من الشعر الا النزر اليسير الذي لا يشفي غلة ، ولا يجدي فتيلا في مضمار معرفة الخوارج وادبهم بصفة عامة وقطري بصفة خاصة . ولكن الانصاف يقودنا الى الاعتراف لها بأنها قدمت لنا عبارات انشائية عن الدماء التي بذلها الخوارج وهي أثمن ما وهب الايمان في تاريخ البشرية واغلاه ، وهو دماء المؤمنين وارواحهم، بل حياتهم كلها .. وهذه الحقيقة لم نصل اليها الباحثة من خلال دراستها لادب الخوارج ، وانما من خلال ما كتبته كتب التاريخ عن الخوارج والفرق الاسلامية .. وكل فضلها في هذه الحقيقة انها صاغتها بأسلوب انفعالي غذته عاطفة الانوثة ، ورفدته طبيعة الجنس الرقيقة التي تتوجس خيفة من القتال البدني في مضمار الحروب ، ومن ثم فانها تستكثر ما يقوم به الخوارج وتعده من الغرابة والاساطير .. وهذه نظرة قاصرة ، ولكنها في الحقيقة معبرة عن المرأة ايما تعبير واوضحه ، لان الباحثة لا تستطيع ان تجوب بذهنها آفاق الانسانية لترى ما يقدمه العقائديون في سبيل عقيدتهم من الحروب والويلات التي تلحق بمضطهديهم الخراب والدمار، وذلك اذا كانوا ايجابيين في محاربتهم ، اما ان كانوا سلبيين فانهم يبذلون أنفسهم في الدفاع عن عقيدتهم ، ولكن في غير ميدان، ولا معركة، فيزهقون أرواحهم منفردين ، كما نرى اليوم في احراق البوذيين لانفسهم احتجاجا على ما يلحق بهم وعقيدتهم من عسف وجور .

على أنها مضت في دراستها لعمران بن حطان على هذا المستوى المتهافت من التفكير ، تاركة الثغرات التي كان لا بد من أن تسدها، والا تترك في بحثها منافذ يطل منها النقاد على ذهنها ليروا ان كان يصلح للاعمال العلمية أم لا . ولكنها مضت على أي حال لتقول لنا حقيقة كبرى زعمت أنها تقوم كثيرا في العلم والادب وهذه الحقيقة تمثل ان كل شاعر خارجي يمثل فئة خاصة لا يمثلها سواه .. « فعمران يمثل الفئة المؤمنة الشديدة الايمان التي أمدت الخوارج بشعرها وعلمها ـ دون ان تحيطنا شيئا عن علمهم وشعرهم ـ ولكنها ، لظروف خاصة ، لم تستطع الحرب وان قاست ويلات التشريد والطرد والتهديد في المعاش .. والطرماح يمثل الاعراب من مؤمني الخوارج الذين آمنوا ولكن ايمانهم لم ينسهم ما كانت تصبو اليه نفوسهم من تحقيق آمالهم في السلطان ، بل ان ايمانهم الخارجي تكون بتلك الامال تكونا قويا ».

حقيقة قوية .. ضخمة .. لها مكانتها في مضمار الدراسات العلمية ، جديدة كل الجدة .. غير انها لم تقل لنا شيئا عن هذه الفئات ، ولم تحاول ان تفلسف اتجاهاتهم .. ولكنها تحدثت عن الخوارج في القسم التاريخي والادبي حديثا تاريخيا ساذجا يعتمد على الجمع وافتعال المناقشات التي لا تؤدي الى جديد ، ولا تعود بطائل على العلم والعلماء ..

ثم تتقدم بنا في بحثها شيئا فشيئا حتى تصل الى الطرماح بن حكيم الطائي ، وكعادتها تستلهم ما كتب عنه في الكتب الادبية القديمة لتدونه مع مناقشة لا تدل على صفاء وذهن ولا اشحاذ قريحة قدر ما تدل على طيبة وسذاجة في عالم الفكر والادب ..

وفي مجال الحديث عن شعره لا نخرج من حديثها بجديد ، اللهم الا ان نضيف الباحثة فنقول انها استطاعت ان تحلل شعر الطرماح تحليلا يمكنها ان تباهي به مدرسي المدارس الثانوية العاديين ، لانها لم تستطع ان تخرج من دراستها لشعره بنتائج نقدية تستحق الذكر، وغاية ما وصلت اليه الباحثة في أمر هذه النتائج ، ان شعر الطرماح الوصفي صعب في ألفاظه واستبدلت على هذا بأن اللغويين حفظوا أبياته ليستشهدوا بها على قاعدة نحوية أو معنى لغوي ، بل أحيانا على وجود اللفظ في اللغة ، فاستشهد به صاحب لسان العرب نحوا من مائة مرة، وجمع له ناشر الديوان من أساس البلاغة للزمخشري نحو ست وخمسين بيتا لا توجد الا في الاساس .

وهكذا تطلق الظواهر النقدية بدون تعليل ولا تطبيق لما تخرج به من دراستها ، ومن ثم كانت آراؤها في شعر الطرماح وغيره من الشعراء كالشائعات التي تطلق من عقالها دون استناد الى حقيقة ثابتة .

على أن الباحثة أمهلتنا في أمر الميزات التي وصلت اليها من دراستها للطرماح الى الفصل الذي عقدت فيه مقارنة بينه وبين الكميت شاعر الشيعة ، ولم يكن لنا من بد أمام هذا الوعد الا ان نصدقها وننتظر عليها .. وجاء الفصل الذي عقدت فيه الموازنة ، فاذا بها تتحدث عن الكميت كشخصية تاريخية ، وبالتالي تتحدث عن صداقتهما لبعضهما ، وبعد طول صبر ومعاناة في حقائق تاريخية لا سبيل لنا بها ، وليس هنا مجال العرض لها ما دام الموضوع هو « أدب الخوارج » .

وبعد ذلك تتحدث في شعرهما وتقارن بينهما ، وهذا جميل في حد ذاته ، غير ان اجمل منه ان تكون المقارنة منهجية ، بحيث تقارن بين كل منهما وتحتكم الى المقاييس الشعرية التي تنطبق على المثل الاعلى في الشعر والتي يرفدها العصر الحاضر بما وصل اليه من رقي فكري ونقدي . ولكنها للاسف أخذت تقارن بينهما وهي ملتفتة الى الوراء حيث العصر الاموي فأقامت هناك لا تريم .. وراحت تقارن في الموضوعات الشعرية وبغض كل منهما للناس واشياء أخر من هذا القبيل لا تشبع نهم قارىء ولا باحث .

وينتهي هذا الكتاب الذي نالت عليه درجة الماجستير في الاداب بحديث عن مكانة الشعر الخارجي من الشعر السياسي . وهذا موضوع فيه مجال لاظهار عبقرية الباحث وأصالته .. وكان بودنا ان نلتقي مع عبقرية الباحثة في هذا الفصل ، لنعتاض به عما قصرت فيه الكاتبة في هذا الكتاب حتى بلغنا مائة واربعين صفحة ولم نقف على جديد يذكر ، أو يستحق منح صاحب الكتاب الدرجة الجامعية التي يطمح اليها .. غير ان ودنا ليس بنافع ولا شافع مع باحثة تعالج هذا الفصل ايضا بمنطقها التداعي وذهنها الذي يتسم بضيق الافق ، واختصامها للثقافة حتى ليخيل الينا انها كتبت هذا البحث في اسبوع لا يزيد..

تبدأ الباحثة في معالجة هذا الفصل المرتقب بحديث عن الشعر السياسي في الجاهلية وصدر الاسلام ، وأرجو من القارىء ألا يكلفنا ما لا نطيق حينما يتساءل عن مدى دعمها للحقائق التي تطلقها ، والتي تسطرها على صفحات كتابها .. ان القارىء حينما يصنع ذلك فانه يكلفنا ما لا نطيق ، لاننا قد اشرنا سابقا الى انها تطلق الحقيقة العلمية اطلاق الشائعة في الاحياء البلدية ، وأن حقائقها لا تقوم على اسس من التطبيق ، أو الادلة العلمية التي تدعمها ، ومن ثم اتصفت حقائقها في هذا الفصل بصفات الصحف المحلية والحوادث التي تلهج بها الالسنة والصيحات التي تهتف بها الجماهير ..

وطبيعي أن ننتظر منها بعض الحقائق التاريخية ، ولكن ليس طبيعيا ان يكون الفصل كله تاريخيا ، ذلك انها اعتمدت على التاريخ اعتمادا كليا وجزئيا، بحيث انك لو عرفت انها كتبت عن الشعر الخارجي صفحة ونصف فقط بعد ذلك العرض التاريخي الممل ، ويا ليتها كانت صفحة مشتملة على نتائج تتقدم بنا شوطا بعيدا او قريبا في مضمار دراسة الخوارج .. ولكنها لا تتسم بشيء من ذلك كله او بعضه ولا يتفق ما كتب في هذا الفصل والعنوان الذي عنونت به فمكانة الشعر الخارجي من الشعر السياسي الاموي ، تقتضي الباحث ان يبحث في الشعر لا التاريخ . مهما يكن من ذلك فان الكتاب لا يشتمل على فصل نقدي يبين فيه الباحث مظاهر التجديد في الشعر الخارجي ، ان كانت هناك مظاهر تجديدية ويبين فيه كذلك الاستخدام اللغوي والتركيبي للتعبير الشعري عندهم ، كما يوضح الباحث امر المضمون الشعري عندهم ومدى ما فيه من روحية ، تستنهض الهمم ، وتحفز الخارجيين الى خوض المعارك غير هيابين ولا وجلين ، وهل هذه الروحية مشوبة بالتصوف أم لا ، واذا كانت مشوبة بالتصوف ، فهل هو تصوف اسلامي، أم أنه نظرا لتأخر نشأة التصوف الاسلامي عن ذلك العهد اعتمدت على تصوف اخر كالهندي وغيره ... كان لا بد من فصل نقدي اذن تبين فيه عبقرية الباحث ان كانت موجودة .. غير أن هذا لم يحدث ، كما لم

تحدث الاشياء التي نبهنا عليها في حديثنا عن هذا الكتاب السيء في دراسته السيء في تفكيره السيء في نوايا المحكمين فيه والمشرفين عليه، فهو كتاب لا يستحق ان ينال صاحبه شهادة اتمام الدراسة الثانوية ـ لانه غير عسير على طالب في هذه المرحلة ـ فضلا عن درجة الليسانس ، أو درجة الماجستر ..

واننا لنتساءل ماذا بقي في الكتاب من فضائل لكي نقف عندها، وماذا يبقى من نقائص لكي تضاف الى النقائص التي اشتمل عليها ، والتي يمكن ان توزع على كتب جيل بأكمله فتكفيها ، بحيث يصبح كل منها غير ذي موضوع في الفن الذي اختص به ..

ولسنا ندري على أي شيء منحت الماجستر التي اعتبرت منطلقا لكي تستند اليه في وقوفها امام الطلبة ، ودخولها من باب الجامعة بدعوى التدريس فيها .. ولماذا أقدمت اللجنة المفضالة من « اصحاب العزة والسعادة » الدكتور طه حسين وأحمد امين والمستشرق ليتمان « على هذا الخطأ التاريخي الذي تنوء بحمله الجبال الشم الرواسي ، ان هذا الكتاب يعد من وجهة نظرنا أخطر كتاب في تاريخ الجامعة ، لانه أتاح لغير ذي أصالة أن يقوم بمهمة خطيرة تتمثل في التوجيه الفكري في بلدنا ، ولاخص خاصتنا وهم الجامعيون ، والحكم عليهم وعلى اعمالهم العلمية بدعوى استاذية الجامعة التي منحتها صاحبة هذا البحث ، الذي لا تستحق عليه درجة الماجستر على ما قدمت فيه من قضايا علمية ، بل انها لتعترف بأن الاساتذة الممتحنين قد رفقوا بها يومذاك رفقا « لا يمكن ان يوفيه شكر » ولست ادري اذا كان الشكر لا يفي هؤلاء الممتحنين على رفقهم بها فما الذي يفيهم اذن ؟؟

والذي نريد ان نقوله الان ان السادة الممتحنين قد خلطوا بين تشجيع فتاة وبين الايمان بمثل عليا في القضايا العلمية ، وراحوا يثنون عليها وعلى شجاعتها وصبرها .. وهذا ظلم لو يعلمون عظيم ، لان الكتاب لا يعدو ان يكون موضوع انشاء كتب بلغة ادبية عالية تستحق كاتبته كلمة « حسن » التي يعلق بها مدرس التعبير للتلميذ الشاطر على صياغة موضوعه ، لان الافكار ليست من اختراع التلميذ ، وانما يلقيها المدرس عليهم القاء ، والافكار قد جاءت من كتب التاريخ والموسوعات الادبية التي غدت الرسالة بكتب التاريخ اشبه منها بكتب الدراسات الادبية والنقدية ، ومن هنا فانه ليجوز لنا ان نقول ، كان من الممكن ان تقدم في قسم التاريخ ليحكموا عليها لا الى قسم اللغة العربية، واغلب الظن بل آكده انها لم تكن تحصل على الدرجة في قسم التاريخ على رسالتها ، لانها لم تأت فيها بجديد فيما يتعلق بالتاريخ..

ولعل أبلغ تأكيد لنفي الاصالة عن صاحبتنا انها مكثت في قسم اللغة العربية بكلية اداب القاهرة زهاء ثلاثين عاما وتزعم انها متخصصة في الادب الحديث ، ومع ذلك فانها تتربع على رئاسة القسم بدون رصيد علمي يسوغ لها زعمها ، وانما الذي غطى دراسة الادب الحديث في هذا القسم رجل متواضع عالم بكل ما في الكلمة من معان، هو الدكتور شوقي ضيف الذي غطى بدراساته الادب القديم والحديث معا ، ومع ذلك فانه يترك اعماله للزمن ليحكم عليها دون ما عنجهية او زهو او افتخار .. وقد تصدى لهذا الموضوع الدكتور محمد مندور في مجلة الاذاعة في عام ١٩٥٩ فانحى باللائمة على سهير القلماوي، واباان انها موضوعة في غير موضعها ، لانها ليس لها رصيد علمي في الادب الحديث ولا في الادب القديم اللهم الا رسالتيها ، التي عرضنا لواحدة ، والا كتاب دعته فن الادب ، وهو كتاب ليس فيه الا الترجمة من النقد الادبي الاوروبي ، بحيث لا يظهر فيه شيء اسمه سهير القلماوي ، كما وصفها العقاد في مجلة « المصور » في ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٩ بأنها تكتب بأسلوب انشائي في أبحاثها العلمية ، فلا يبين لك من دراساتها ان كانت موضوعات علمية ، أو موضوعات انشائية ..

والسؤال الغريب في هذا الموضوع والذي يدور بذهن القارىء اذا كانت هكذا فما الذي أخذ بيدها حتى تسنمت رئاسة هيئة علمية جامعية تدعى قسم اللغة العربية ، وحتى دخلت مجلس الاداب والفنون والادارة الثقافية بالجامعة العربية وغيرها ؟؟

والاجابة على ذلك بصراحة ، أنه لم تأخذ بيدها عبقرية خلافة ، ولا أصالة فذة ، وانما الذي أخذ بيدها في هذا كله القبلية النقدية في صميمها وأسوئها .. ذلك ان الدكتور طه حسين كان خالقها وباعثها فقال لها كوني دكتورة فكانت .. وكوني رئيسة لقسم اللغة العربية فكانت وكوني في مجلس الاداب والفنون فكانت .. وكوني في لجنة يعمل بها الدكتور فكانت .. وذلك على شريطة أن تهاجم كل خارج على قبيلة الدكتور في الفكر والنقد ان صح ان له اتجاها خاصا به، لا يشركه فيه غيره ، ويشار اليه بالبنان على أن طه حسين له مذهب في الفكر والادب ...

ومعنى هذا بصراحة أنه أقحم على الدولة في مضمار القيادة الفكرية أناسا ليسوا بذوي أصالة ولا عبقرية خلاقة ، بغية أن يقفوا بجانبه لا اكثر ولا اقل لكي ينافحوا عنه ذوي الاصالة في مضمار الفن والفكر الذين سيكشفون يوما ما ، أغاليطه واوهامه في هذا المضمار ، فلاجل هذه المهمة النبيلة أقحم ما أقحم ، وأبعد عن هذا المضمار ما أبعد ، وحارب في سبيل ذلك كله من حارب ، وهو مؤمن بقبليته في حربه وسلمه ، موقن كل الايقان بعدالته التي تتفق ومبادىء قبيلته، والتي تختصم الانسانية والمنهاج السليم في حكمها على الاشياء . ومن ثم تبزغ الاحن والعداوات التي في الصدور ، اذا ما نافس أحد أفراد قبيلته منافس يشهد له الجميع بأصالته في الادب والنقد ، هنا فقط تنقلب عداوة القبيلة وعصبيتها الى شراسة وتوحش ، ويفدو مقياس التفضيل لديهم في الجوائز التي هي على مستوى الدولة ان فلانا من تلاميذ طه حسين ، بهذا النص .. كأن التلمذة على طه حسين غدت مؤهلا علميا يجب على الدولة ان تعترف به .. ويجب على قبيلته ان تقف عنده لا تريم ، لانه مقياس عادل في التفضيل ..

ولا نعرف في هذا التصرف وأمثاله الا أنه القبلية النقدية والفكرية في صميمها وأسوئها ، والتي لا يسمح بها انسان له مسحة من فكر، أو بقية من ضمير ادبي ، ولكن للاسف أن ذوي الضمائر الادبية قد

ـ التتمة على الصفحة ٧٧ ـ

في المكتبات

مع الإمام علي

من خلال «نهج البلاغة»

دراسة مستفيضة عن عبقرية الامام علي كسياسي وحكيم من خلال خطبه ورسائله التي يتضمنها كتابه الخالد « نهج البلاغة »

تاليف

خليل الهنداوي

منشورات

الثمن ٢٥٠ ق.ل

دار الاداب

أخلوا الطريق بعدما مهدوه وعبدوه لهؤلاء الحمقى ليتصرفوا ذلك التصرف الشائن في عصر يدين بالاشتراكية منهجا سياسيا واجتماعيا وخلفيا .

ومهما يكن من أمر فان هذه واحدة من قبيلة طه حسين قد أسبغ عليها مولانا وسيدنا الدكتور طه حسين كل النعم ، وقدمها لها شهية لتهنأ بمائدته القبلية على الرغم من تفاهة تفكيرها في العلم ، وضخامتها في الكيد والعصبية التي تشعل أوارها ، وتدير رحاها ..

يحيى الخشاب :

أما الثاني منهذه القبيلة الذي سنعرض له هو زوج الدكتورة سهير القلماوي المفضال الدكتور يحيى الخشاب ..

ولسنا ندري ماذا نقول في الرجل الذي ليس له انتاج فكري أو نقدي يحمل اسمه يستحق الذكر ، لان غاية ما ابدعه يراعه هو ترجمة بعض الآثار الادبية من اللغة الفارسية ككتابه « حكايات فارسية » التي طبعت مرتين ، وهي قصص مختارة من الكتب الفارسية ليس للمؤلف فضل أكبر من ترجمتها .

والدكتور الخشاب اذن لا نعتبره من النقاد ولا من المفكرين، وقد نعتبره أستاذ اللغة الفارسية ، ولكنه حتى فيهذه ليس من الصفالاول، لانه ليس له نتاج أدبي فارسي سوى بعض الكتب التي ترجمها، والتي يبلغ بعضها من الحجم ما لا يزيد على « فصيل » صغير ، وذلك مثل ترجمته « لاداب المتعلمين » التي ألفها لنصير الدين الطومي.. فالكتب التي ترجمها الدكتور الخشاب من الحجم الصغير التي لا تحتاج الىكبير جهد او تفكير ..

ومن ثم فان رصيده العلمي لا يثبت امام رصيد علمي في اللغة الفارسية وآدابها لاستاذ جامعي هو الدكتور محمد موسى هنداوي، الذي الف « تاريخ الادب الفارسي » ، يعرض فيه المؤلف لاهم تطورات الادب الفارسي منذ عصوره الاولى حتى العصر الحديث . كما قام بدراسة شاعر الانسانية سعدي الشيرازي وعصره وديوانه اليوستان . وقد وضع الدكتور الهنداوي معجما في اللغة الفارسية يحتوي قرابة ٢٠ ألف كلمة واستعمال وتركيب مع مقابلة دقيقة على أوثق المعاجمالحديثة.. وله كذلك ما يزيد على عشرة كتب اخر من امهات الكتب الفارسية بين ترجمة وتأليف .

فاذا كان المخول لان يسيطر الدكتور الخشاب على مؤسسات ومعاهد عالية هي اجادته للغة الفارسية فان الدكتور هنداوي يجيد الفارسية مثله ان لم يزد عليه ، واذا كان المخول يتمثل في ترجمتهلبعض الآثار الادبية الفارسية ـ على نزارتها ـ ، فان الدكتور هنداوي له ترجمات لامهات الكتب الفارسية ، ومؤلفات من واقع تفكيره هو ومزاجه الادبي ، وليست مهمته الترجمة فحسب ، فلم اذن يقع اختيار الدكتور طه حسين على الخشاب فقط دون الرجل العالم الدكتور الهنداوي ، وذلك اذا كان المقياس هو الابداع في اللغة الفارسية فحسب.. لم يقع اختيار الدكتور طه حسين على الخشاب ليكون عضوا في مجلس الاداب والفنون ، وعميدا لمعهد الدراسات العربية اليوم ، وبالامس عميدا لمعهد الدراسات الاسلامية ، ومشرفا على الادارة الثقافية بالجامعة العربية، وغير ذلك من المؤسسات والمعاهد وكل ما يتصل بالقيادة الفكرية..

هل اختاره الدكتور طه حسين لفكره وادبه بمعنى الابداع في الادب ودراسته .. اذا كان اختياره قد تم لذلك فاننا نخالف الدكتور طه حسين ، لان هناك من يفضل الخشاب في هذا الميدان ، ومنأسدى الى الادب والادباء خدمات جليلة نزعم ان الخشاب وعشرات مثله لم يصلوا ولن يصلوا اليها ...

ومهما يكن من امر فان الاختيار لم يكن للناحية العلمية او الفكرية وانما لاشياء أخر ، قد تكون لها وجاهتها في ذهن الدكتور فحسب، ولكنها لا تبعد بحال من الاحوال عن القبلية النقدية والفكرية التي كان الفضل كل الفضل للدكتور طه حسين في نشأتها ، لانه من روادها المخلصين في اتمامها ، وليس أدل على ذلك من تمكينه لتلك الاسرة في مختلف الميادين الادبية والفكرية ، ومن بعثه للعصبية المعهدية فيهذا الوطن المفدى .. الامر الذي جعل بعض تلاميذه يحول دون وصول الاكفاء الى حقوقهم ، والادلة على ذلك كثيرة نمسك القلم عن ذكرها ، ولن نذكر في هذا المقام ما صنعته الدكتورة سهير مع الدكتور سيد نوفل ، وهو عالم جليل، له من الانتاج ما يقعده في مصاف النقاد الاصلاء ، ومع ذلك فان الدكتورة سهير قد حاولت بكل جهودها ان تحول بينه وبين التعيين في كلية الاداب بدعوى البواعث الشخصية التي تمور في صدرها ، ولكنه اليوم المدير المساعد للجامعة العربية، وهو مركز استطاع ان يملأه الرجل بكل فخر واعتزاز ، لان الناضج في العلم ، لا بد ان ينجح في أي مهمة تكلها الدولة اليه .

ونذكر أيضا أن الدكتورة نفسها تحول بين التعيين لاي دارسخارج عن كلية الاداب مهما يكن قد حصل على درجة الدكتوراة من الخارج لا لشيء الا انه لم يكن من خريجي كليتها ، وتلك علائم العصبية على أتمها واوضحها في نفس صاحبتنا ... بل انها تحول بين الكلية وبين عالم فذ وناقد خلاق هو الدكتور مندور .. فالدكتور مندور يحاضر في كليات ومعاهد عالية كثيرة اللهم الا كلية الاداب التي كان مدرسا بها .. تحول بين الطلاب وبين افادتهم من ذلك المنهل الخصب بدعوى لانعرفها .. ولتكن أي دعوى .. ولكن الطلبة حرموا من افادة الدكتور مندور لهم .. ومهما حاضرت في النقد الادبي الحديث فانها لن تصلبالضرورة الى مستوى الدكتور مندور ..

وهذه الظواهر كلها انما هي القبليةُ النقدية والفكرية في صميمها وأسوئها ، التي نتتبعها في شتى المجالات ، وفي نفوس المهيمنين على مؤسساتنا الثقافية ...

رشاد رشدي :

اما الشخصية الثالثة التي وعدنا بالحديث عنها في أول المقالة ، والتي هي خارجة عن الاسرة التي قدمناها اللهم الا بمقدار الزمالة في العمل في جامعة واحدة ، وكلية واحدة .. والتي أخذت أكثر منحقها في مزاولة الحياة الادبية مع استمراء الكسل في الانتاج العلمي هي شخصية الدكتور رشاد رشدي الاستاذ المساعد للادب الانجليزي ورئيس القسم بكلية الاداب بجامعة القاهرة ..

وحين نقول الدكتور رشاد رشدي ، فلا بد ان نستحضر فياذهاننا أنه شخصية فذة في التسلط على الميادين الفكرية والادبية ، مع ادخال حقيقة اخرى في خلدنا تتمثل في ان تسلطه لا يعتمد على اساس علمي، لان رصيده العلمي لا يكاد يذكر بجانب المسائل التي يضطلع بها ... فالمكتبة لا تذكر له الا ثلاث مجموعات من المقالات النقدية التي نشرها في الصحف ، وكتيبا صغيرا يدعى « ما الادب » وهو كتاب خلاصة ما يستفيده القارىء منه ، أن معلوماته ومفاهيمه عن الادب تضل وتتزعزع بفضل هذا الكتيب الذي يسيء اكثر ما ينفع .

ونحن لا نغلو في حديثنا عن هذا الكتيب الذي أبدعته قريحة رئيس القسم ولا نبالغ ، وحسب القارىء ان يتصفحه ثم يقرأ بعد ذلك بعناية كتاب « جان بول سارتر » الذي ترجمه الدكتور محمد غنيمي هلال ليعرف الفرق بين « ما الادب » عند رشاد رشدي ، وما الادب عند سارتر ، ثم يحكم القارىء بعد ذلك على قولنا في حق « ما الادب » عند رشاد رشدي ، وذلك مع تقديم الاعتذار للقراء ولسارتر على سواء في هذه المقارنة الظالمة من جهتنا . أما مقالاته في النقد ، فاننا نزعم انها لا تقدم كثيرا ولا قليلا في ميدان الفكر والادب ، لانها لا تعدو أن تتحدث عن أوليات في مضمار النقد والادب ، قد قام باعمق منها في مضمار الكتابة عن القصة والمسرحية عندنا نقاد أصلاء يتمتعون بذوق رهيف وعبقرية خلاقة ، فكتبوا في مضمار القصة والمسرحية ما لا يمكن ان ترقى اليه كتابة رشدي ، بل ولا تتطلع الى مدارك الكتابة عند هؤلاء ، وفي مقدمة هؤلاء النقاد ما كتبه الدكتور مندور منذ عام ١٩٤٠ الى وقتنا هذا ، وما كتبه الدكتور محمد غنيمي هلال في كتبه الادب المقارن والمدخل

ـ البقية على الصفحة ٧٨ ـ

والقبيلة النقدية ايضا

ـ تتمة المنشور على الصفحة ١٥ ـ

الى النقد الادبي وغيرها ، والاستاذ عمر الدسوقي في كتابه «المسرحية» .. فهو في كتابه « فن القصة القصيرة » الذي زعم انه سيسد نقصا في المكتبة العربية ، يعتمد على تقرير المبدأ النقدي ، ثم تطبيقه على بعض القصص الاوروبية لكي يوضح المبدأ النقدي الذي يدعو اليه..

ولكي نؤيد كلامنا بالواقع العلمي فلا بد من عرض مبدأ نقدي في القصة عند كل من الدكتور رشاد رشدي ، والدكتور هلال ، لنرى الفارق بينهما في النقد والفكر .. ففي مجال الحديث عن الشخصيات فيالقصة يقول رشدي : « لكي يصبح الحدث حدثا كاملا ، يجب ان لا يقتصر الخبر على الاجابة على الاسئلة الثلاثة المعروفة وهي كيف وقع وأين ومتى ؟ بل يجب ان يجيب المؤلف على سؤال رابع مهم وهو لم وقع ؟ والاجابة على هذا السؤال تتطلب البحث عن الدافع او الدوافع التي ادت الى وقوع الحدث بالكيفية التي وقع بها ، والبحث عن الدوافع يتطلب بدوره التعرف على الشخص او الاشخاص الذين فعلوا الحدث أو تأثروا به .

ومن الخطأ الفصل أو التفرقة بين الشخصية والحدث ، لانالحديث هو الشخصية وهي تعمل فلو ان الكاتب اقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل لكانت قصته اقرب الى الخبر ، لان القصة انما تصور حدثا متكاملا له وحدة ، ووحدة الحدث لا تتحقق الا بتصوير الشخصية وهي تعمل ، أي عندما يجيب الكاتب على أسئلة اربعة وهي: كيف وأين ومتى ولم وقع الحدث ، ولكي ندرك ما نعني بذلك دعنا نقرأ القصة التالية بعنوان « شرف اللصوص » (1) .

ثم يمضي في التطبيق على هذا الكلام الساذج في مضمار النقد القصصي بعرض قصة « شرف اللصوص » ، و « في ضوء القمر » لجي دي موباسان » فيستغرق خمسا وعشرين صفحة من كتاب كل صفحاته لا تبلغ مائتين ، بل تقصر عنها ، وهكذا في كل مبدأ نقدي . وهذه الاسئلة الاربعة التي فرق بها المؤلف بين الحدث والخبر نعتقد انها هي بنفسها شروط الخبر الصحفي الناجح بل بزيادة شرط اخر هو: من الذي فعل الخبر ، وهذا هو ما علمناه في دراسة الصحافة منواقع قراءاتنا للصحافة السليمة في البلاد الاوروبية وغيرها (2) . ولسنانعرف أي سذاجة في مضمار النقد تضع شروطا للتفريق بين الخبر والحدث هي بنفسها شروط الخبر الصحفي الصحيح ، بل ويزيد عليها كذلك شرطا اخر لم يضعه المؤلف .. ان هذه السذاجة في تصورنا ، لا يمكن أن ترقى اليها سذاجة أخرى في عالم الفكر والادب .

هذا ما كتبه الدكتور رشاد بالنسبة للاشخاص ، اما الدكتور هلال فاننا نقف عند ما كتبه في هذا الموضوع بالذات ، وقفة المعجب بالابداع في النقد والاصالة والذوق الرهيف ، ذلك انه يقول : « الاشخاص في القصة مدار المعاني الانسانية ، ومحور الافكار العامة ، ولهذه المعاني والافكار المكانة الاولى في القصة منذ ان انصرفت الى دراسة الانسان وقضاياه ، اذ لا يسوق القاص أفكاره وقضاياه العامة منفصلة عنمحيطها الحيوي ، بل ممثلة في الاشخاص الذين يعيشون في مجتمع ما ، والا كانت مجرد دعاية ، وفقدت بذلك أثرها الاجتماعي وقيمتها الفنية معا، فلا مناص من أن تحيا الافكار في الاشخاص ، أو تحيا بها الاشخاص، وسط مجموعة من القيم الانسانية ، يظهر فيها الوعي الفردي متفاعلا مع الوعي العام ، في مظهر من مظاهر التفاعل ، على حسب ما يهدف اليه الكاتب ، في نظرته الى هذه القيم ، وفي أغراض الانسانية. ولا مناص من اتساق هذه الاغراض مع الغرض الفني ، وهذا مظهر الصراع النفسي او الاجتماعي ، يقوم به الاشخاص ضد المجتمع ، وعوامل الطبيعة ، وقد يقوم به الشخص ضد نفسه » (1)

ويمضي الدكتور هلال فيتحدث عن الاشخاص في القصة ومصدرهم الواقع ، ولكنهم يختلفون عمن نالفهم أو نراهم عادة ، في أنهم ـ في ضوء العرض الفني ـ أوضح جانبا ، وسلوكهم معلل في دوافعه العامة ..الى اخر ما قال في هذا الصدد .

وفي تصورنا أن القارىء ليس بحاجة الى أن ما قلناه سابقا من أن كتابة الدكتور رشاد رشدي في مضمار النقد لا تعدو أن تكونأوليات نقدية يعرفها طلاب المدارس الثانوية في مدارسنا المصرية « مدارس البنين والبنات » ، وأن كتابته لا ترقى الى مستوى هؤلاء الاعلام في مضمار النقد والادب . ومن كان من القراء في شك من ذلك ، او داخله الريب في صدق ما نقول ، فعليه أن يرجع الى ما كتبه نقاد العرب الاصلاء الذين وقفنا عند بعضهم وليرجع كذلك الى ما كتبه الدكتور رشدي في هذا الميدان . على أنني لست بالمسؤول عما يعتريه منهتزاز نفس ويأس وقنوط من كتابة ناقدنا الذي نحن بصدد تقويمه في مضمار الادب والفكر .. وأعتقد أن القارىء سيخرج في النهاية بمثل ما خرجنا به من الحكم على هذا النتاج ..

ولنا أن نتساءل في هذا المقام لان هناك أسئلة تقفز الى ذهننا تتمثل في ان الاستاذ الدكتور رئيس القسم الانجليزي يكتب بالعربية ولا ترقى كتابته الى مستوى ما كتب بالعربية كذلك على ايدي نقادنا العباقرة فلمن يكتب اذن ؟؟

ولا تلبث الاجابة على هذا التساؤل أن تأتي بدورها ممثلة في أن يكتب لطلبته في قسم اللغة الانجليزية .. لأ ن الذين لم يشرفوا بالتلمذة عليه ، لا يمكن أن يقفوا على ما كتبه ويدرسوه ، وأمامهم هؤلاء الاعلام فيما كتبوه في النقد والادب .. أما تلاميذه فانهم مضطرون الى دراسة هذه الكتب حيث انها مقررة عليهم ، وحيث انه الآمر الناهي فيهم ..

والذي يترتب على هذا أن هؤلاء الطلبة في مواده التي يدرسها يكونون أقل مستوى من مستوى الطلبة الذين يتخصصون في اللغة العربية وادابها مثلا ، الذين يقرأن لاعلامنا من النقاد الذين وقفنا على كتبهم وافكارهم، اللهم الا اذا كان يقرر عليهم بعض كتب النقد الانجليزية وبعض القصص القصيرة باللغة الانجليزية أيضا ، وهو في هذه الحالة لا تعدو مهمته القصوى أن يكون موصل أفكار هؤلاء الانجليز لطلبته ، فلو أن النقاد الانجليز لم يكتبوا مقالاتهم النقدية لما كتب رشاد رشدي، وهذه المهمة نعتقد انها هي مهمة مدرسي المدارس الثانوية الذين يسيرون في دروب مطروقة .. ويقفون عند كتب معينة قررتها الوزارة ، ومنهج مخصص كذلك من ابتداع الوزارة ..

والذي نعلمه أن الرجل يدرس لطلبته كتيبا صغيرا يشتمل على بعض القصص باللغة الانجليزية يدعى Modern Short Stories وهاتيك القصص التي يحتوي عليها الكتاب هي التي تحدث عنها وترجمها في كتابه « فنالقصة القصيرة» ففيه قصة jn the Moonlight لـ Guy de Maupassant وقصة The Schoolmistress لـ Anton Ichehov وقصة Bliss لـ Katherine Mansefield

ومعنى هذا بوضوح أن كتابه فن القصة هو المقرر على الطلبة في قسم اللغة الانجليزية .

وبالرغم من هذا المستوى الضعيف لطلبة اللغة الانجليزية ، فقد تكون مؤلفات الاستاذ الفاضل على مستوىعلمي كبير في اللغة الانجليزية نفسها . ومعنى هذا بوضوح اننا نريد ان نحتكم في قوة هذه الكتب الى

---

(١) رشاد رشدي : فن القصة القصيرة ص ٢٨ .

(٢) راجع كتاب الاستاذ Neal : News Getting & News Wrating وراجع كتاب « المدخل في فن التحرير الصحفي » للدكتور عبد اللطيف حمزه صفحات : ٥٤ ، ٦٦ ، ٨٩ .

(١) دكتور محمد عنيمي هلال : المدخل الى النقد الادبي ص ٦٤٠ وما بعدها الطبعة الثانية ..

مقياس نرتضيه وهو لا يخطىء أبدا ، ويتضمن هذا المقياس أن هذه الكتب لو ترجمت الى اللغة الانجليزية ، هل تكون على مستوى علمي يرضى به نقاد الادب الانجليزي ويعتبرون مؤلفها زميلا لهم وناقدا في لغتهم ..

وأغلب الظن بل آكده أنها لو ترجمت الى اللغة الانجليزية فان المسؤولين عن التعليم هناك لن يرضوا بها ككتب خارجية لطلاب المرحلة الثانوية ، فضلا عن تدريسها في كلياتهم ومعاهدهم العالية ..

أما من حيث زمالة الاستاذ فان المسألة رهينة بما أتى به من جديد في لغتهم وأدبها .

والذي لا شك فيه انه لا يوجد من يزعم انها قد أتت بالجديد في مضمار النقد الانجليزي ، اللهم الا ان يكون هذا الزاعم من حملة العكاكيز الذين تركناهم قبل ذلك حينما تحدثنا عن الاستاذ أنور المعداوي .

وفي تصورنا أن القارىء ليس بحاجة الى أن نقول له ان كتب الدكتور رشاد على نزارتها ليست بذات موضوع في مجال النقد اللهم الا اذا قرأها طلاب المدارس الثانوية ومن في مستواهم ، أما أن تفيد طالبا جامعيا أو طالبة ، فهذا ما نستبعده بشدة ، ونحن مطمئنون الى هذا الاستبعاد . والى هنا نرى ان موازين الدكتور رشاد رشدي قد خفت حتى كادت الكفة التي تحمل انتاجه وافكاره في عالم النقد ان تصل الى « قب الميزان ».. ولكن ليس معنى هذا أننا قد أتينا على كل جوانبه، لان هناك الدكتور المؤلف المسرحي صاحب مسرحية « الفراشة » و «لعبة الحب » وغيرها .. والذي نعتقده في هذه المسرحيات أنها لا ترقى الى الانتاج المسرحي في الاداب العالمية ، وبالاخص الادب الانجليزي، بل لا نغالي اذا قلنا انها لا تصل الى مستوى مسرحيات توفيق الحكيم أو نعمان عاشور واضرابهما .. فقد تكون في مسرحياته حبكة منهجية في البناء ، ولكنها تضؤل من حيث ارتباط الشخصيات بالحدث المسرحي ، والصراع الفكري الديالكتيكي الذي يبين عن وجهات مختلفة ازاء صراع الوجود في مختلف مظاهره ، من خلال المصير العادي للشخصيات أو الجماعات المضطهدة .. فمسرحياته من هذه الناحية وتلك لا شيء على الاطلاق .. ولا ترقى الى مستوى مسرحيات كتابنا الشباب من أمثال سعدالدين وهبة ولطفي الخولي ومحمود السعدني ..

ولكن القبلية في صميمها وأسوئها تجعل من هذا الرجل كاتبا مسرحيا كبيرا على ألسنة بعض مشجعيه الذين ينخرطون في جماعته النقدية التي أزمع فيما مضى على تكوينها ، وهؤلاء المشجعون يمثلون حملة المباخر امام الساحر ..

القبلية في صميمها وأسوئها تجعل المسؤولين في المسرح القومي يتعاقدون معه على مسرحيته قبل ان يكتب فيها حرفا واحدا . ويقررون تمثيلها في المسرح القومي قبل ان ينتهي منها ، وهاته المسرحية المرتقبة هي « رحلة خارج السوق » وستمثل في هذه الايام ..

القبلية النقدية والفكرية تصنع هذا ، كأن المؤلفين المسرحيين قد صعدت أرواحهم ولحقت بالرفيق الاعلى ، ولم يبق منهم الا الدكتور رشاد رشدي ، أو كأن المؤلفين المسرحيين قد حبسوا في قاعة هائلة بحيث لا يستطيع انسان أن يفتحها ، بالرغم من ضياع مفتاح القاعة ، ولم يهتد اليه المسؤولون في المسرح القومي ...

والقبلية النقديه والفكريه في صميمها وأسوئها تلقى بمهام قيادية في الميدان الفكري والادبي كعضوية مجلس الاذاعة الاعلى للدكتور رشاد رشدي ، الذي عرفنا من شأنه ما عرفنا .. عرفنا أنه لا يتقدم النقاد بمبدعاته ولا يساويهم ، ولا يتقدم الادباء بمبدعاته ايضا ولا يساويهم..

والسؤال الذي يدور في ذهننا الان ، اذا كان هو كذلك فما هي الميزات التي ترجحه على غيره في قيادة الميادين الفكرية والادبية .. بيد أن الاجابة على هذا التساؤل تكمن في القبلية النقدية والفكرية .

عبد الحي دياب

تفخر بأن تقدم
للقارىء العربي
الروائع التالية :

دار النشر للجامعيين
مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع - يشرف عليها لجنة من الجامعيين
المدير المسئول: محمد انيس الطبشراع
بيروت - شارع سوريا - بناية دروبش - هاتف ٢٠٧٢٧ - ص.ب ٣٨٧٤

		السعر ق.ل
أنا كرنينا	تأليف ليو تولستوي	٥٠٠
امرأة من روما	تأليف البرتو مورافيا	٦٠٠
الارض العذراء	تأليف بيار روفائيل	٤٠٠
الناصر لدين الله	تأليف سيمون حايك	٤٠٠
جندي مع العرب ((طبعة ثانية))	مذكرات كلوب باشا	٥٠٠
الماركسية في الفلسفة	تأليف حسني ناثان	٦٠٠
المبادىء العامة للفقه الجعفري	تأليف هاشم معروف الحسيني	٦٠٠
النبوة والعقل	تأليف محمد جواد مغنية	١٠٠
الاخرة والعقل	تأليف محمد جواد مغنية	١٠٠
ابن هانيء الاندلسي	تأليف الدكتور منير ناجي	٥٠٠
ليبيا العربية	تأليف الدكتور ممدوح حقي	٣٠٠
تاريخ الفقه الجعفري	تأليف هاشم معروف الحسيني	٤٠٠
المرأة في حضارة العرب	تأليف محمد جميل بيهم	٥٠٠
قبس من الاسلام	تأليف الشيخ معوض عوض ابراهيم	٥٠٠
الحلة السيراء	تحقيق الدكتور عبد الله الطباع	١٥٠٠
فتوح البلدان	تأليف البلاذري	١٥٠٠
تحت الطبع : الوقف والحجر على المذاهب الخمسة	تأليف محمد جواد مغنية	٢٠٠